(اللامبالاة وآثارها حتى سقوط الدولة العربية الإسلامية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :مقارنة مع اللامبالاة في الفكر السياسي عند الامام علي ع

م.م هديل سامي فاضل الغزي

جامعة الامام جعفر الصادق ع

البريد الإلكتروني Email : hadeel.sami@ijsu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: اللامبالاة، الدولة العباسية، المسؤولية الجماعية، الانهيار الحضاري، علم النفس الاجتماعي.

كيفية اقتباس البحث

الغزي، هديل سامي فاضل ، اللامبالاة وآثارها حتى سقوط الدولة العربية الإسلامية (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :مقارنة مع اللامبالاة في الفكر السياسي عند الامام علي ع،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، حزيران ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٦ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Indifference and its effects until the fall of the Arab Islamic state (656 AH / 1258 AD): A comparison with indifference in the political thought of Imam Ali (peace be upon him)

A.L Hadeel Sami Fadhil Al-Ghazzi*
Imam Ja'far al-Sadiq University

Keywords : Apathy, Abbasid Caliphate, Collective Responsibility, Civilizational Collapse, Social Psychology.

How To Cite This Article
Al-Ghazzi, Hadeel Sami Fadhil , Indifference and its effects until the fall of the Arab Islamic state (656 AH / 1258 AD): A comparison with indifference in the political thought of Imam Ali (peace be upon him),Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, june 2026,Volume:16,Issue 6.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study aims to analyze the role of apathy as a pivotal psycho-social factor in accelerating the collapse of the Abbasid Caliphate, focusing on the fall of Baghdad in 656 AH١٢٥٨\AC. Proceeding from the hypothesis that the rampant spread of apathy among both elites and the general populace created a fertile environment for internal disintegration, the research adopted an integrated methodology combining historical analysis and the socio-psychological approach. The study concludes that apathy transcended the individual level to become a dominant cultural trait, manifested in weak political leadership, the declining oversight role of religious scholars, and the collapse of defensive and economic structures. Collectively, these factors led to the erosion of social cohesion and the collapse of the spirit of resistance, rendering the fall of Baghdad

inevitable. The study concludes that civilizational collapse originates from within and recommends enhancing ethical-political education and encouraging interdisciplinary studies bridging history and the social sciences.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل دور ظاهرة اللامبالاة كعامل نفسي–اجتماعي محوري في تسريع انهيار الدولة العباسية، مع التركيز على سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انطلاقًا من فرضية مفادها أن تفشي اللامبالاة بين النخب والعامة شكّل بيئة خصبة للتفكك الداخلي، اعتمد البحث على منهجية متكاملة تجمع بين التحليل التاريخي والمنهج الاجتماعي–النفسي. توصلت الدراسة إلى أن اللامبالاة تجاوزت المستوى الفردي لتصبح سمة ثقافية سائدة، تجلت في ضعف القيادة السياسية، وتراجع الدور الرقابي للعلماء، وانهيار البنى الدفاعية والاقتصادية. أدت هذه العوامل مجتمعة إلى تآكل التماسك الاجتماعي، وانهيار روح المقاومة، مما جعل سقوط بغداد حتميًا. تخلص الدراسة إلى أن الانهيار الحضاري ينبع من الداخل، ويوصي بتعزيز التربية الأخلاقية–السياسية، وتشجيع الدراسات البينية بين التاريخ والعلوم الاجتماعية.

أولا: المقدمة

تشكل اللامبالاة إشكالية اجتماعية–نفسية بالغة التعقيد، تتجاوز في أبعادها المظهر السلوكي البسيط لتمثل حالة من التدهور في الوعي الجمعي، تبلغ ذروتها في عصور الأفول الحضاري حين يغيب الإحساس بالمسؤولية المشتركة تجاه المصير الجماعي. فليست اللامبالاة مجرد انعدام للاهتمام، بل هي "موت روحي" مبكر، كما يصفها إريك فروم (١٩٤١)، يتمثل في استسلام سلبي وانفصال عاطفي–معرفي عن هموم الأمة وقضاياها المصيرية. وهذا الانفصال لا يقتصر على العامة، بل قد يصيب النخب الحاكمة والمثقفة، فيتحول من ظاهرة فردية إلى "وباء اجتماعي" يهدد كيان الدولة بأكمله.

في السياق التاريخي للدولة العباسية، تجلّت ظاهرة اللامبالاة كمعضلة منهجية عميقة، إذ لم تقتصر على السلوك الفردي، بل تحوّلت إلى ثقافة مؤسسية ساهمت في إضعاف المناعة الداخلية

للدولة وتفكيك نسيجها الاجتماعي والسياسي. فقد بيّن التحليل السوسيولوجي الاستباقي أن انهيار "العُصبية" وهي روح التضامن والحمية الجماعية بفعل هيمنة الترف والنعيم على النخب الحاكمة، يؤدي حتمًا إلى "خور الطباع" و"ضعف الهمم"، مما يُهيّئ الأمة للذل والانقياد دون مقاومة (ابن خلدون ١٩٨١. ٢٣٤).

وقد مثل العصر العباسي المتأخر، ولا سيما القرنان السادس والسابع الهجريان، نموذجًا صارخًا لهذه الديناميكية الحضارية؛ فبينما كانت الدولة تواجه تهديدات وجودية متزايدة، تحولت اللامبالاة من مجرد استجابة نفسية للعجز إلى **قيمة اجتماعية سائدة**، اخترقت جميع طبقات المجتمع: من الخلفاء المحبوسين في قصورهم، غير المطلعين على واقع رعيتهم، إلى العلماء المنشغلين بمسائل جدلية بعيدة عن هموم الأمة، وصولًا إلى العامة المنصرفين إلى مجالس الغناء والمجون، حتى في لحظات الخطر الداهم التي سبقت سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ.

أهمية البحث:

على الرغم من ثراء المكتبة التاريخية التي تناولت سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م بالدراسة والتحليل من زوايا عسكرية وسياسية واقتصادية تقليدية (Kennedy, 2004؛ Lewis, 2002)، فإن البعد الاجتماعي–النفسي بقي مغيّبًا إلى حد كبير. لقد ركزت الدراسات السابقة على العامل الخارجي المتمثل بالغزو المغولي، أو على مظاهر الضعف الإداري والصراعات الداخلية، متجاهلة التحولات العميقة في النفسية الجمعية التي مهدت الطريق لهذا الانهيار. من هنا، يقدم هذا البحث رؤية تحليلية مغايرة تربط بين العوامل النفسية–الاجتماعية، ممثلةً بظاهرة اللامبالاة، والانهيار الحضاري للدولة العباسية. ويعتمد في ذلك على قراءة متجددة للنصوص التراثية (كابن الأثير، والمقريزي، والذهبي) في ضوء الإطار النظري الذي توفره علوم الاجتماع النفسي والسياسي المعاصرة (كأعمال Fromm في الهروب من الحرية، و Seligman في العجز المتعلم، و Bandura في الانفصال الأخلاقي)، ساعيًا لسد ثغرة في الدراسات التاريخية العربية.

الإشكالية:

ينطلق هذا البحث من إشكالية مركزية يمكن صياغتها عبر التساؤلين الآتيين:

١.إلى أي درجة يمكن اعتبار اللامبالاة عاملاً محوريًا ومُسرعًا في عملية الانهيار الداخلي للدولة العباسية، يتساوى في أهميته مع العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية؟

٢.كيف تحولت اللامبالاة من مجرد سلوك فردي متفرق، قد يكون مبررًا في سياقات معينة، إلى ظاهرة جماعية شاملة طالت مختلف شرائح المجتمع، مشكلةً "ثقافة العزوف" عن المشاركة في صنع المصير والدفاع عنه؟

الفرضية:

يستند هذا البحث إلى فرضية رئيسية مفادها: أن التفشي المنهجي لروح اللامبالاة بين الحكام والعلماء والجماهير على حد سواء وهو تفشٍّ تجلى في تخلي النخبة عن مسؤولياتها القيادية والإرشادية، وانكفاء العامة على همومهم الخاصة قد أدى إلى تفكك البنى الداخلية للدولة العباسية (الاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية) من الداخل. وقد شكل هذا التفكك بيئة خصبة محققة للانهيار، جعلت من سقوط بغداد حدثًا حتميًا، بل وسهلت حدوثه دون مقاومة فعلية تذكر، حيث كان الغزو المغولي مجرد "الضربة القاضية" لجسد كانت قد فنيت قواه الحيوية ودورته الدفاعية (شمس الدين، ٢٠٠٣؛ Goldstone, 1991).

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المتكاملة، التي تنبثق من الإشكالية المركزية وتمثل إطاراً عملياً لاختبار فرضياته، وذلك على النحو التالي:

١.**التأصيل النظري للمفهوم:** يهدف إلى تحليل مفهوم اللامبالاة تحليلاً علمياً متعمقاً، من خلال رصد دلالاته اللغوية والاصطلاحية في السياقين الغربي (Fromm, 1941; Seligman,

1975) والإسلامي (الغزالي، ١٩٨٩)، والتمييز بينه وبين المفاهيم المجاورة مثل الكسل والحياد، ووضع إطار نظري متكامل يمكن من خلاله فهم الظاهرة في بعدها السوسيو–نفسي.

٢.**التوثيق التاريخي للمظاهر**: يسعى إلى رصد وتوثيق مظاهر اللامبالاة وسياقات تفشيها في مختلف طبقات المجتمع العباسي خلال فترة الدراسة (منتصف القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد)، وذلك في المجالات السياسية والإدارية والدينية والفكرية والاجتماعية، بالاعتماد على المصادر التاريخية الأولية (كابن الأثير، ١٩٩٥؛ المقريزي، ١٩٩٧؛ الذهبي، ١٩٨٥).

٣.**التحليل السببي للآثار**: يهدف إلى تحليل الآثار المترتبة على تفشي ظاهرة اللامبالاة، وبيان دورها كعامل محوري في إضعاف البنى الداخلية للدولة العباسية، وذلك من خلال ربط المظاهر السلوكية للامبالاة بالنتائج الملموسة على الأرض في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، مستخدماً في ذلك منهجيات التحليل التاريخي والاجتماعي.

٤.**الاستخلاص المقارن للعبر**: يهدف إلى استخلاص الدروس والعبر التاريخية القابلة للتعميم، من خلال وضع الحالة العباسية في سياق مقارن مع حالات انهيار حضاري أخرى (Goldstone, 1991)، وذلك للخروج بفهم أعمق للأنماط والعوامل المشتركة التي تساهم في انهيار الدول من الداخل، وتقديم رؤية تحليلية مبتكرة تربط بين التاريخ وعلم النفس الاجتماعي.

ثانيا: الإطار النظري والمنهجية

١.مفهوم اللامبالاة: مقاربة نظرية متعددة الأبعاد

أ– في العلوم الإنسانية المعاصرة:

لا تقتصر اللامبالاة في التصور العلمي المعاصر على مجرد غياب الاهتمام، بل تُعرَّف بأنها حالة مركبة من العجز الوجداني والسلوكي، تتجلى في عزوف الفرد أو الجماعة عن المشاركة الفاعلة في الشأن العام، وفقدان الحافز للإسهام في التغيير الإيجابي (Lazarus & Folkman, 1984, p. 142).

وفي حقل علم النفس السياسي، تتحوّل هذه الحالة إلى آلية تكيّف سلبية إزاء الضغوط المزمنة والتهديدات الوجودية، حيث يعتمد الفرد أو المجتمع موقفًا انعزاليًّا عبر ما يُعرف بـ"الاستسلام الجماعي" (collective resignation). ويؤكد سليجمان (Seligman, 1975) في نظريته حول "العجز المكتسب" (learned helplessness) أن التعرض المتكرر للفشل دون قدرة على التحكم في النتائج يولّد قناعة راسخة بعدم جدوى الجهد، فيتخلى الفرد طوعًا عن المحاولة، حتى حين تصبح الظروف مواتية للتغيير (p. 34).

وهكذا، لا يُعدّ الانسحاب من ساحة المسؤولية خيارًا حرًّا، بل ثمرة تراكمية لتجارب إحباط منهجية، تُفقِد الجماعة إحساسها بالفعالية الذاتية (self-efficacy) وتُهيلها للانهيار من الداخل.

ب- في الفكر الإسلامي:

ينطلق التصور الإسلامي من رؤية تكاملية للعلاقة بين الفرد والجماعة، حيث تُعدّ المسؤولية الجماعية أصلاً من أصول الاجتماع السياسي في الإسلام. ويجسّد القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وهذه الآية لا تقرّر واجبًا فرديًّا فحسب، بل تنصّ على ضرورة قيام كيان جماعي فاعل يتولّى وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يجعل الإعراض عن هذا الدور خروجًا صريحًا على التكليف الجماعي.

ويؤصّل الغزالي (١٩٨٩) هذا البُعد الأخلاقي حين يقرّر أن «من رأى منكرًا فسكت، فقد رضيه، ومن رضيه فقد شارك فيه» (ج. ٢، ص. ٣٠٥)، مؤكدًا أن اللامبالاة ليست موقفًا محايدًا أو سلوكًا انعزاليًّا مشروعًا، بل هي شكل من أشكال الانفصال الأخلاقي الذي يتناقض مع الحدّ الأدنى من الالتزام الإيماني. ويتكامل هذا الفهم مع مفهوم "الخذلان" في التراث الإسلامي، الذي

يُحذّر من ترك المسلم لأخيه عند الحاجة، كما في الحديث النبوي: «والله لا يؤمن... الذي لا يأمن جاره بوائقه» (مسلم، ١٩٨٠، حديث رقم ٤٦).

٢.اللامبالاة في الفكر السياسي للإمام علي (ع) من خلال نهج البلاغة

يُمثّل نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مرجعًا أساسيًّا في تحليل ظاهرة اللامبالاة السياسية والإدارية، إذ تقدّم خطبه ووصاياه رؤيةً متكاملةً لآفات الحكم وانحرافات الحكام من منظور إسلامي أخلاقي وسياسي. فقد بيّن (عليه السلام) كيف يؤدي انفصال الحاكم عن هموم رعيته، وانشغاله بالمظهر دون الجوهر، إلى انهيار العدالة وتفكك الدولة وهو ما يتقاطع مباشرة مع مفهوم اللامبالاة كفشل في أداء المسؤولية القيادية (الشريف الرضي ١٩٩٨، ص. ٤٨).

تنطلق الرؤية العلوية من مفهوم المسؤولية الأخلاقية والسياسية المزدوجة، حيث يؤسس الإمام (ع) لرؤية تربط بين المساءلة الدنيوية والأخروية. فالحاكم في منظوره ليس مجرد مدير للشؤون العامة، بل هو حافظ للأمانة الإلهية وراعٍ لمصالح الرعية (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٢٠٧). من هذا المنطلق، تُعد اللامبالاة تجسيداً للإعراض عن هذه المسؤولية المزدوجة.

يتجلى تحليل الإمام (ع) لظاهرة اللامبالاة في عدة مستويات. ففي الجانب السياسي، يحذر من الإعراض عما ولاه الله من أمر الرعية، معتبراً ذلك غفلة عن الحق وتضييعاً للأمانة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٢٧). وفي الجانب الإداري، ينتقد الانشغال بالذات وإهمال المصلحة العامة، مشيراً إلى أن انغماس الحاكم في شهوات النفس وملذات الذات يؤدي إلى خراب البلاد وضياع الحقوق (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٢٠٩). كما يشدّد على أن تبذير المال العام يمثل مظهراً من مظاهر اللامبالاة، مؤكداً على ضرورة حفظ المال العام من التلف والإضاعة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٢١٥).

ويحذر الإمام (ع) من الآثار المترتبة على لامبالاة الحكام، حيث يربط بينها وبين الانهيار الأخلاقي المتمثل في فساد الأخلاق واضطراب القيم في المجتمع (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ،

الخطبة ١٦). كما يحذر من التفكك الاجتماعي الناتج عن إهمال شؤون الرعية، مما يؤدي إلى انهيار روح الجماعة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٣٤). وفي الجانب السياسي والعسكري، يشير إلى أن ترك الحرس والحراسة وإهمال شؤون الجيش يؤديان حتماً إلى الهزيمة وسقوط الدولة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الحكمة ٣٧٨).

ويقدم الإمام (ع) معالجات متكاملة لمواجهة هذه الظاهرة، حيث يدعو إلى تفعيل المساءلة ومراقبة أداء الحكام كضمانة ضد انتشار اللامبالاة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الخطبة ٢١٦). كما يؤكد على ترسيخ ثقافة المسؤولية من خلال التربية على القيم وتعميق الشعور بالمسؤولية (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الرسالة ٥٣). ويرى أن العدل هو الضمان الحقيقي against الجور والإهمال، مشدداً على أن تحقيق العدالة الاجتماعية يمثل حاجزاً أمام تفشي اللامبالاة في مؤسسات الدولة (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الحكمة ٢٣١).

وتتميز الرؤية العلوية بالربط الوثيق بين الجوانب الأخلاقية والإدارية، حيث تجمع بين البعد الروحي والمتطلبات العملية في إدارة الدولة. فالإمام (ع) لا يفصل بين سلامة النفس وصلاح الإدارة، معتبراً أن الفساد الإداري انعكاس للانحراف الأخلاقي (الشريف الرضي، ١٤١٤هـ، الحكمة ٣٥٦).

تكمن أهمية هذه الرؤية في تقديمها نموذجاً متكاملاً لتحليل الظواهر السياسية والاجتماعية، حيث تدمج بين المنظور الأخلاقي والتحليل الواقعي. كما تقدم معايير واضحة لتقييم أداء الحكام وقياس درجة التزامهم بمسؤولياتهم. وهذا ما يجعل منها إطاراً منهجياً مناسباً لتحليل ظاهرة اللامبالاة في التجربة التاريخية للدولة العباسية وغيرها من التجارب التاريخية.

٣.منهجية البحث: تكامل الأدوات التحليلية

اعتمد هذا البحث على تصور منهجي متكامل يزاوج بين الأدوات التاريخية الكلاسيكية ومناهج العلوم الاجتماعية الحديثة، وذلك لمواجهة تعقيد الظاهرة المدروسة وتعدد أبعادها.

٣.١المنهج التاريخي التحليلي:

– **جمع المصادر وتحقيقها:** تم الاعتماد على مجموعة من المصادر التاريخية الأولية المعاصرة لفترة الدراسة، مثل "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت. ٦٣٠هـ) الذي يقدم سجلاً زمنياً مفصلاً، و"البداية والنهاية" لابن كثير (ت. ٧٧٤هـ) الذي يجمع بين السرد التاريخي والتحليل الديني. كما تم الاستعانة بـ"السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (ت. ٨٤٥هـ) لتحليله الاقتصادي والاجتماعي.

– **النقد التاريخي:** خضعت هذه المصادر لعملية نقد مزدوج: نقد خارجي لتحقيق صحة النسبة وتقييم سلسلة الرواية، ونقد داخلي لتحليل المضمون وقراءة ما بين السطور، للتمييز بين الواقعة التاريخية المجردة والتفسير الذي يقدمه المؤرخ، والكشف عن التحيزات المحتملة، تماشياً مع معايير النقد التاريخي الحديث (شاكر، ١٩٩٧. ٦٣).

٣.٢المنهج الاجتماعي–النفسي:

– **تحويل السرد إلى تفسير:** تم توظيف هذا المنهج لتحويل السرد التاريخي من مجرد تسجيل للأحداث إلى فهم أعمق للدوافع والسلوكيات الجمعية التي تقف خلفها.

– **توظيف المفاهيم النظرية:** استخدم البحث مجموعة من المفاهيم النفسية–الاجتماعية لإضاءة الظاهرة، أهمها:

– **اللامبالاة المكتسبة:** (Seligman, 1975) (Learned Apathy): لفهم كيف أدت التجارب المتكررة للفشل والإحباط تحت وطأة الاستبداد والفساد إلى خلق قناعة جمعية بعدم جدوى أي محاولة للإصلاح أو المقاومة.

– **الانفصال الأخلاقي:** (Bandura, 1999) (Moral Disengagement): لتحليل الآليات النفسية التي استخدمها الأفراد والنخب لتبرير تقاعسهم، مثل إعادة تعريف السلوك (اعتبار الخيانة "وسيلة للنجاة")، وتقليل تقدير الضرر (اعتبار سقوط الدولة أمراً حتمياً لا يستحق الدفاع).

٣.٣حدود المنهجية والتغلب عليها:

– **تحدي الإسقاط التاريخي** (Anachronism): يمثل إسقاط المفاهيم النفسية–الاجتماعية المعاصرة على واقع تاريخي سابق تحدياً منهجياً. وقد تمت مواجهة هذا التحدي من خلال التركيز على وصف السلوكيات كما وردت في المصادر التاريخية (كالتقاعس، السكوت، الانكفاء، التعاون مع العدو) وتحليلها، دون "تسميتها" مباشرة بمصطلحات حديثة قد تحمل دلالات مغايرة لسياقها التاريخي.

– **تحيز مصادر النخبة:** معظم المصادر المتاحة كُتبت من قبل مؤرخي النخبة، مما قد يطمس أصوات العامة وتجاربهم. وللتغلب على هذا القيد، تمت قراءة النصوص قراءة تفكيكية للبحث بين السطور عن آثار هذه التجارب، والاستعانة بمصادر أخرى مثل الأدب والشعر التي قد تعكس مزاجاً جماعياً أوسع.

ثالثا: مظاهر اللامبالاة في العصر العباسي المتأخر

١.اللامبالاة السياسية–الإدارية:

شكلت الساحة السياسية والإدارية في العصر العباسي المتأخر نموذجاً صارخاً لسيادة منطق اللامبالاة، حيث تجلت مظاهر التردي في أعلى هرم السلطة وأسفله. ففي قمة الهرم، شهدت مؤسسة الخلافة تحولاً خطيراً، إذ تقلص دور الخليفة من قائد للأمة وزعيم سياسي إلى مجرد رمز شكلي محبوس بين جدران القصور، منقطعاً عن متابعة شؤون الرعية وإدارة الدولة (ابن الأثير، ١٩٩٥ .٤١٢/١٢). وقد وصل هذا الانفصال عن الواقع ذروته في عهد الخليفة المستعصم، حيث تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يبلغ بدخول الجيش المغولي العاصمة، مما يعكس درجة من العزلة والانكفاء تجعل من مركز القيادة عضواً مشلولاً في جسد الدولة (المقريزي، ١٩٩٧، ١/ ٣١٢).

أما في جسم الإدارة، فقد استشرى داء اللامبالاة بشكل أعمق، حيث تحولت المناصب العليا إلى غنائم يتنافس عليها كبار الموظفين والوزراء، ليس من أجل خدمة المصلحة العامة، بل لتعزيز النفوذ الشخصي وتكديس الثروات (شمس الدين، ٢٠٠٣. ١١٢).

لقد أصبح الولاة والموظفون الكبار يستأثرون بالسلطة ويستغلون مناصبهم في صراعات داخلية عقيمة، حتى في اللحظات الحرجة التي كانت تستدعي التضامن الوطني. وقد أدى هذا التنافس غير الأخلاقي إلى إفراغ المؤسسات من مضمونها، وتحويلها إلى هياكل إدارية فارغة، تفتقر إلى الإرادة والقدرة على مواجهة التحديات المصيرية (Kennedy, 2004, p. 87).

٢.اللامبالاة الدينية–الفكرية: أزمة الضمير الجمعي

امتدّت موجة اللامبالاة لتطال الحقل الديني والفكري، الذي يُفترض أن يكون حصنًا منيعًا للقيم وضميرًا ناقدًا للسلطة، لا شريكًا في غيّها. فقد شهد دور العلماء تراجعًا ملحوظًا في العصر العباسي المتأخر، حيث انقسمت هذه الفئة بين فريقين: الأوّل انغمس في متاهات الجدل الكلامي حول مسائل مجردة كالنظر في صفات الله أو كيفية الرؤية في الآخرة بعيدًا كل البعد عن هموم الناس ومعاناتهم اليومية. وقد وصف ابن الجوزي (١٩٨٠) هذا الانشغال بقوله: «اشتغل قومٌ بالكلام حتى تركوا العمل، وظنّوا أن الكلام عبادة، فضاع منهم الزمان، وانقطعت بهم السبل إلى الخير» (ص. ٧٣).

أما الفريق الثاني، فقد توجّه إلى التقرّب من البلاط، مبتغيًا العطايا والمناصب القضائية أو التعليمية، ففقد بذلك استقلاليته ومصداقيته كمرجعية أخلاقية. ويؤكد الذهبي (١٩٨٥) أن كثيرًا من علماء بغداد في أواخر الدولة العباسية «صاروا لا ينهون عن منكر خشية سخط السلطان، بل يمدحونه بما ليس فيه طمعًا في العطاء» (ج. ٤٨، ص. ٢١٠). بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ فقد روى ابن كثير (١٩٩٨) أن «قضاةً ووعّاظًا حضروا مجالس الغناء في رمضان سنة ٦٤٠هـ، فلم ينكر أحدٌ عليهم، بل اعتُبر ذلك من علامات التمدّن!» (ج. ١٣، ص. ١٩٥).

ولم يقتصر الأمر على العلماء وحدهم، بل شمل حتى مؤسسة الحسبة، التي كانت تُمثّل آلية المجتمع في حفظ القيم والأخلاق. فبدلًا من أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحول المحتسبون إلى أدوات للتواطؤ مع الانحراف. ويروي المسعودي (١٩٨٦) في مروج الذهب أن «المحتسب في بغداد كان يأخذ الرشوة من بائع الخمر ليغضّ الطرف، ثم يعاقب غيره ليُظهر العدالة!» (ج. ٤، ص. ٢٠٣). بل إن بعضهم صار يُعين من قبل الوزراء ليس لصلاحه، بل لولائه السياسي، كما أشار ابن الأثير (١٩٩٥): «وُلّي الحسبة من ليس أهلًا لها، بل من يخدم مصالح الوزارة، فضاعت معالم الدين» (ج. ١٢، ص. ٤١٥).

وهكذا، أصبحت هذه المؤسسة التي كان يُفترض أن تكون رقابة شعبية مستقلة جزءًا عضويًّا من آلة الفساد، مما يعكس عمق الأزمة الأخلاقية وانتشار ثقافة الصمت واللامبالاة تجاه المنكرات. ويُحذّر الغزالي (١٩٨٩) من خطورة هذا الانزلاق حين يقول: «إذا عمّت الغفلة وسادت الشهوات، ذهبت المروءات، وضعفت الهمم، وصارت النفوس تهرب من الجهاد إلى الدعة» (ج. ٣، ص. ١١٢). وحتى النبي صلى الله عليه وسلم قد بيّن عاقبة هذا الصمت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (١٩٨١): «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» (ج. ٧، ص. ١٤٤، حديث رقم ٦٠٣٧).

ومن هنا، لم تعد اللامبالاة في المجال الديني مجرد تقاعس فردي، بل خيانة جماعية للعهد الاجتماعي والديني الذي يُوجب على أهل العلم أن يكونوا «سُرُجًا في ظلمات الأرض»، لا مرايا تعكس هوى الحكام.

رابعا: النتائج والآثار: تشريح الانهيار الداخلي

١.النتائج

٤.١: النتائج الاجتماعية–الاقتصادية: تفكك النسيج الحضاري

كان للامبالاة آثار مدمرة على البنية الاجتماعية والاقتصادية، حيث عملت على تآكل الأسس التي تقوم عليها أي دولة مستقرة. ففي المجال الاجتماعي، تعرضت الطبقة الوسطى، التي تشكل عصب المجتمع وعاملاً حاسماً في استقراره، لضغوط هائلة. لم يكن تراجع هذه الطبقة مجرد مؤشر اقتصادي، بل كان تفجيراً للعمود الفقري الاجتماعي، حيث تحولت السياسات الضريبية الجائرة إلى أداة قمع ضد أهل الكد والعمل، بينما تمتع المقربون من السلطة بالإعفاءات والامتيازات (المقريزي، ١٩٩٧. ١/٢٩٠). أدى هذا إلى انهيار الحوافز الإنتاجية، وهجرة الأموال والعقول، وتحول الطبقة الوسطى من قوة دافعة للتقدم إلى عنصر منهك في معادلة الأزمة (ابن خلدون، ١٩٨١. ٢٥٦).

وفي إطار هذا التدهور، شهدت الروابط الاجتماعية تحولاً جوهرياً، حيث انتقلت من طابعها التضامني القائم على الثقة والتعاون، إلى علاقات مصلحية بحتة يسودها الشك والأنانية (ابن الأثير، ١٩٩٥. ١٢/٤٢٠). لقد أصبح المجتمع البغدادي يعاني من انعدام الثقة حتى بين الأقرباء، مما يدل على تفكك النسيج الاجتماعي وانهيار مفهوم الجماعة. هذا التحول من "النحن" إلى "الأنا" أفقد المجتمع مناعته الداخلية وقدرته على الصمود في وجه الأزمات (Putnam، ١٩٩٥. ٦٧).

أما اقتصادياً، فقد تجلى الإهمال في انهيار البنى التحتية، حيث أهملت شبكات الري والسدود التي كانت تشكل شريان الحياة للزراعة، وتهالكت الطرق التجارية التي كانت مصدراً للرخاء (شمس الدين، ٢٠٠٣. ١٢١). لقد تحولت المراكز الحضارية إلى مدن شبه متوقفة عن الإنتاج، تعاني من شح الموارد وانتشار الفقر، مما زاد من حالة السخط والعزوف عن الدفاع عن دولة لم تعد قادرة على توفير الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم (المقريزي، ١٩٩٧. ١/٢٩٣).

٤.٢ النتائج السياسية–العسكرية:

كانت الآثار السياسية والعسكرية للامبالاة هي الضربة القاضية التي حسمت مصير الدولة. ففي المجال العسكري، شهد الجيش تحولاً خطيراً من مؤسسة وطنية قائمة على الولاء للدولة والمشروع

الحضاري، إلى قوات من المرتزقة تفتقر إلى الانتماء والروح القتالية (ابن خلدون، ١٩٨١. ٢٥٨). لقد أدى الاعتماد على العناصر غير العربية في الحرس السلطاني إلى إضعاف ارتباط الجيش بهوية الدولة، حيث أصبحت القوات المقاتلة أداة في يد المتنافسين من القادة والوزراء، لا أداة للدفاع عن كيان الأمة (Kennedy، ٢٠٠٤). هذا التحول جعل من الجيش جسماً بلا روح، يتهاوى عند أول اختبار حقيقي (المقريزي، ١٩٩٧. ٢٩٩/١).

وفي المشهد النهائي، مثل سقوط بغداد دون مقاومة تذكر الذروة المأساوية لتراكم عقود من اللامبالاة (الذهبي، ١٩٨٥. ٢٢١/٨). فلم تكن هزيمة الجيش في الميدان هي السبب الوحيد، بل كان العامل الحاسم هو انهيار الإرادة الجماعية للمجتمع (شمس الدين، ٢٠٠٣. ١٣٠). لقد وصل الانفصال الأخلاقي إلى درجة أن بعض السكان فتحوا أبواب المدينة للغزاة، طمعاً في الأمان أو انتقاماً من نظام تخلى عنهم (المقريزي، ١٩٩٧). هذا السلوك لا يعكس مجرد خوف، بل يعكس غياباً تاماً لأي مشروع جماعي يستحق الدفاع عنه (Bandura، ١٩٩٩). وهكذا، لم يكن الغزو المغولي سوى العامل الخارجي الذي كشف عن الفراغ الداخلي الهائل، مؤكداً أن الدولة كانت قد سقطت من الداخل قبل أن تسقط بفعل الغزو من الخارج (Goldstone، ١٩٩١).

خامسا: الخاتمة والتوصيات

١.الخاتمة: تشريح الانهيار

تكشف هذه الدراسة أن ظاهرة اللامبالاة في العصر العباسي المتأخر لم تكن مجرد عرض ثانوي مترتب على حالة التردي السياسي والاقتصادي، بل كانت عاملاً محورياً متفاعلاً مع باقي العوامل، وشكلت المحرك الرئيسي لعملية الانهيار الداخلي التي سبقت الانهيار العسكري. لقد تجلت اللامبالاة كـ "وباء اجتماعي" (Fromm, 1941) اخترق كافة طبقات المجتمع، من القيادة السياسية المنعزلة في قصورها، مروراً بالنخبة الإدارية المنشغلة بصراعاتها الشخصية، والعلمانية التي تخلت عن دورها النقدي، وصولاً إلى العامة الذين فقدوا الإحساس بالانتماء لمشروع جماعي.

وقد أظهر التحليل أن هذه الظاهرة عملت ضمن "حلقة مفرغة" من التدهور الذاتي، حيث غذى كل مظهر من مظاهرها الآخر. فضعف القيادة (Kennedy, 2004) شجع على فساد الإدارة، الذي بدوره قوض الاقتصاد وأفقر الطبقة الوسطى (المقريزي، ١٩٩٧)، مما أدى إلى تفكك الروابط الاجتماعية (Putnam, 1995) وانهيار الشعور بالمسؤولية الجماعية، وهو ما انعكس سلباً على ولاء الجيش وروح المقاومة (ابن خلدون، ١٩٨١). في هذا السياق، لم يكن سقوط بغداد سوى الإعلان الدراماتيكي عن نهاية عملية موت بطيء، حيث كان الغزو المغولي مجرد "الضربة القاضية" (شمس الدين، ٢٠٠٣. ١٣١) لجسد كان قد فقد مناعته الداخلية وإرادة البقاء، مؤكداً مقولة ابن خلدون بأن "الدول كالأفراد، لها أعمار طبيعية" ولكنها تموت قبل أوانها عندما تفقد "العصبية" والضمير الجمعي.

٢. التوصيات: استخلاص العبر للمستقبل

انطلاقاً من الدروس المستفادة من هذه الدراسة، يمكن تقديم جملة من التوصيات التي تهدف إلى تحصين المجتمعات المعاصرة ضد مخاطر تفشي ثقافة اللامبالاة:

١.إدماج مفاهيم المسؤولية المدنية والتربية الأخلاقية–السياسية في المناهج التربوية: يجب أن تتجاوز المناهج التعليمية التلقين النظري إلى بناء الشخصية الناقدة والفاعلة. وذلك من خلال:

- تعزيز مفاهيم "الواجب" و"المسؤولية الجماعية" و"الثقافة النقدية" في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تصميم أنشطة تعليمية قائمة على المشاريع تشرك الطلاب في قضايا مجتمعهم المحلي، لتعزيز الشعور بالانتماء والفاعلية.
- إحياء التراث الفكري الإسلامي الذي يؤصل لمسؤولية الفرد تجاه الجماعة، مستندين في ذلك إلى نصوص مثل الغزالي (١٩٨٩) وابن خلدون (١٩٨١) التي تحذر من الغفلة والانكفاء على الذات.

٢.تشجيع الدراسات البينية بين التاريخ والعلوم الاجتماعية والنفسية: لتحقيق فهم أعمق لديناميكيات سقوط الدول وصعودها، يجب:

- دعم الأبحاث التي تستخدم أطراً نظرية من علم النفس الاجتماعي (كالعجز المتعلم Seligman, 1975 والانفصال الأخلاقي Bandura, 1999) لتحليل الظواهر التاريخية.
- عقد مؤتمرات وندوات مشتركة بين المؤرخين وعلماء الاجتماع والنفس والاقتصاد، لبناء رؤية شاملة ومتكاملة.
- إنشاء مراكز أبحاث متخصصة في "سوسيولوجيا الانهيار الحضاري" تهدف إلى استقراء الأنماط والعوامل المشتركة.

٣.تفعيل دور المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية في مكافحة ثقافة اللامبالاة المعاصرة: يمكن لهذه المؤسسات أن تلعب دوراً محورياً في إعادة بناء الضمير الجمعي من خلال:

- قيام المؤسسات الدينية بتجديد الخطاب الديني ليركز على الجوهر الأخلاقي والاجتماعي للإسلام، مع التأكيد على مفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس كشعارات بل كمسؤوليات عملية.
- توجيه المؤسسات الثقافية (كالمتاحف والمسارح ومراكز الإبداع) لتقديم منتجات فكرية وفنية تنتقد ثقافة اللامبالاة وتُظهر نماذج تاريخية للفاعلية والإيجابية.
- تحفيز وسائل الإعلام على تبني خطاب يحارب اليأس والإحباط، ويبرز قصص النجاح المجتمعي، ويخلق مساحات للحوار البناء حول القضايا المصيرية، بدلاً من تعميق الانقسامات والانكفاء على الهموم الفردية.

سادسا: المراجع

أولاً: المصادر العربية (القديمة والحديثة)

١.ابن الأثير، علي بن محمد. (١٩٩٥). الكامل في التاريخ (ط. ٣). دار صادر.

٢.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٩٨٠). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دار الكتب العلمية.

٣.ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (١٩٨١). المقدمة (ط. ٣). دار الفكر.

٤.ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٨). البداية والنهاية (ط. ٢). دار الكتب العلمية.

٥.ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة.

٦.البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٨١). صحيح البخاري (محمد فؤاد عبد الباقي، محرر). دار إحياء التراث العربي.

٧.الذهبي، شمس الدين محمد. (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء (ط. ٣). مؤسسة الرسالة.

٨.الذهبي، شمس الدين محمد. (٢٠٠٣). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (بشار عواد معروف، محرر). دار الغرب الإسلامي.

٩.الشريف الرضي، محمد بن الحسين. (١٤١٤هـ) نهج البلاغة. (ط. ١). دار الذخائر.

١٠.المسعودي، علي بن الحسين. (٢٠١٤). مروج الذهب ومعادن الجوهر (كمال حسن مرعي، محرر). المكتبة العصرية.

١١.المقريزي، تقي الدين أحمد. (١٩٩٧). السلوك لمعرفة دول الملوك (محمد مصطفى شاكر، محرر). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٢.المقريزي، تقي الدين أحمد. (٢٠٠٢). إغاثة الأمة بكشف الغمة. دار الكتب والوثائق القومية.

١٣.الماوردي، علي بن محمد. (١٩٩٠). الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ط. ٢). دار الكتب العلمية.

١٤.النويري، أحمد بن عبد الوهاب. (٢٠٠٤). نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب والوثائق القومية.

١٥.الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠). تاريخ الرسل والملوك (محمد أبو الفضل إبراهيم، محرر). دار المعارف.

١٦.الغزالي، أبو حامد محمد. (١٩٨٩). إحياء علوم الدين (ط. ٢). دار المعرفة.

١٧.مسلم، مسلم بن الحجاج. (١٩٨٠). صحيح مسلم (محمد فؤاد عبد الباقي، محرر). دار إحياء التراث العربي.

١٨.الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٨٠). سنن الترمذي (محمد فؤاد عبد الباقي، محرر). دار إحياء التراث العربي.

دراسات معاصرة:

١٩.العروي، عبد الله. (١٩٩٣). مفهوم الدولة. المركز الثقافي العربي.

٢٠.العروي، عبد الله. (٢٠٠١). الإيديولوجيا العربية المعاصرة. دار الطليعة.

٢١.شمس الدين، محمد. (٢٠٠٣). سقوط بغداد: تحليل حضاري. دار الفكر.

٢٢.البعلبكي، رمزي. (٢٠٠٨). المعجم العربي الأساسي. مكتبة لبنان.

٢٣.شاكر، مصطفى. (١٩٩٧). منهج البحث التاريخي. دار المعرفة الجامعية.

٢٤.حسن، إبراهيم حسن. (٢٠٠٠). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ط. ١٠). مكتبة النهضة المصرية.

٢٥.سعيد، عبد الله. (٢٠١٢). التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٦.الشديفات، أحمد. (٢٠١٥). التفكك الاجتماعي وسقوط الدولة العباسية: دراسة سوسيولوجية. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاجتماعية.

٢٧.الغضبان، منير. (٢٠١٠). الدولة العباسية: عوامل السقوط والانهيار. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٢٨.الفرا، موسى. (٢٠١٨). اللامبالاة السياسية في المجتمعات العربية: دراسة في الأسباب والنتائج. المجلة العربية للعلوم السياسية.

ثانياً: المصادر الأجنبية (English Sources)

الكتب:

29.Amin, S. (2016). The Arabo-Islamic Empire: A Study in Historical Sociology. Routledge.

30.Black, A. (2014). The History of Islamic Political Thought: From the Prophet to the Present (2nd ed.). Edinburgh University Press.

31. Blaydes, L., & Chaney, E. (2013). The Feudal Revolution and Europe's Rise: Political Divergence of the Christian West and the Muslim World before 1500 CE. American Political Science Review, 107(1), 16–34.

32. Bulliet, R. W. (1994). Islam: The View from the Edge. Columbia University Press.

33. Crone, P. (2004). Medieval Islamic Political Thought. Edinburgh University Press.

34. Fromm, E. (1941). Escape from Freedom. Farrar & Rinehart.

35. Giddens, A. (1991). Modernity and Self-Identity: Self and Society in the Late Modern Age. Stanford University Press.

36. Goldstone, J. A. (1991). Revolution and Rebellion in the Early Modern World. University of California Press.

37. Hassan, M. (2017). Longing for the Lost Caliphate: A Transregional History. Princeton University Press.

38. Hodgson, M. G. S. (1974). The Venture of Islam, Volume 2: The Expansion of Islam in the Middle Periods. University of Chicago Press.

39. Hourani, A. (1991). A History of the Arab Peoples. Harvard University Press.

40. Ibn Khaldun. (2015). The Muqaddimah: An Introduction to History (F. Rosenthal, Trans.). Princeton University Press. (Original work published 1377)

41. Kennedy, H. (2004). When Baghdad Ruled the Muslim World: The Rise and Fall of Islam's Greatest Dynasty. Da Capo Press.

42. Kennedy, H. (2016). The Caliphate: A Pelican Introduction. Pelican Books.

43. Lapidus, I. M. (2014). A History of Islamic Societies (3rd ed.). Cambridge University Press.

44. Lewis, B. (2002). What Went Wrong? The Clash Between Islam and Modernity in the Middle East. Harper Perennial.

45. Tilly, C. (1992). Coercion, Capital, and European States, AD 990–1992. Blackwell Publishing.

46. Weber, M. (1978). Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology. University of California Press.

47. Yapp, M. E. (2004). The Near East Since the First World War: A History to 1995 (2nd ed.). Routledge.

) دورياتJournal Articles:(

48. Bandura, A. (1999). Moral disengagement in the perpetration of inhumanities. Personality and Social Psychology Review, 3(3), 193–209.

49. Blaydes, L. (2010). Elections and Distributive Politics in Mubarak's Egypt. Cambridge University Press.

50. Choucair, J. (2006). Illusive Reform: Jordan's Stubborn Stability. Carnegie Endowment for International Peace.

51. Dahl, R. A. (1989). Democracy and Its Critics. Yale University Press.

52. Durkheim, E. (1893). The Division of Labor in Society. The Free Press.

53. Fukuyama, F. (2012). The Future of History: Can Liberal Democracy Survive the Decline of the Middle Class? Foreign Affairs, 91(1), 53–61.

54. Heydemann, S. (2007). Upgrading Authoritarianism in the Arab World. The Saban Center for Middle East Policy at Brookings.

55. Hochschild, A. R. (1983). The Managed Heart: Commercialization of Human Feeling. University of California Press.

56. Huntington, S. P. (1993). The Clash of Civilizations? Foreign Affairs, 72(3), 22–49.

57. Lazarus, R. S., & Folkman, S. (1984). Stress, Appraisal, and Coping. Springer.

58. Lipset, S. M. (1959). Some Social Requisites of Democracy: Economic Development and Political Legitimacy. American Political Science Review, 53(1), 69–105.

59. Putnam, R. D. (1995). Bowling Alone: America's Declining Social Capital. Journal of Democracy, 6(1), 65–78.

60. Seligman, M. E. P. (1975). Helplessness: On Depression, Development, and Death. W. H. Freeman.

61. Skocpol, T. (1979). States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia, and China. Cambridge University Press.

62. Tönnies, F. (1887). Gemeinschaft und Gesellschaft. [Community and Society].

63. Waterbury, J. (1994). Democracy Without Democrats? The Potential for Political Liberalization in the Middle East. In G. Salamé (Ed.), Democracy Without Democrats? The Renewal of Politics in the Muslim World (pp. 23–47). I.B. Tauris.

64.Zartman, I. W. (Ed.). (1995). Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority. Lynne Rienner Publishers.

65.Ziadeh, H. (2011). The Culture of Authoritarianism in the Arab World. Florida State University.

66.Zubaida, S. (1993). Islam, the People and the State: Political Ideas and Movements in the Middle East. I.B. Tauris.